

مخطوط "الجامع لعلوم اللغة والفقه والشريعة" لمؤلفه الشيخ محمد مكنوس

بقلم أ/بن مالك حسن*

لقد كان هذا المخطوط ملازما لي منذ سنوات بعد أن تحصلت عليه من أحد الأساتذة الباحثين إيمانا مني بأنني سأقوم بتحقيقه ونشره، ولكنه ولظروف العمل الجامعي من جهة، والبحث العلمي المتمثل في تحضير رسالة الدكتوراه وأشغال أخرى كثيرة، هي التي كانت سببا في جعل هذا المخطوط مركونا أسيرا طيلة هذه المدة مع ما يتمتع به من أهمية وانفراد في حقله، ثم ما لبثت أن فكرت في إخراجه من ظلمة رفوف مكتبتي المتواضعة إلى النور، وذلك بالعكوف على تحقيقه ودراسته وشرحه وتقديمه للقارئ المولع بتراثه العربي الإسلامي الثري، والحريص على إحيائه والإفادة منه.

تعود ملكية المخطوط للشيخ الحاج محمد بن مكنوس، من مواليد عام 1908 بقرية أولاد سيدي الفريح⁽¹⁾، بأرض القعدة من بادية امهاجة،

ويحتوي هذا المخطوط على (102) أو مائة ورقة وورقتين من الحجم الكبير، وفي مائتي صفحة وأربع صفحات، بخط مغربي، يجمع بين اللغة والفقه وعلم التوحيد وبعض القضايا في التربية والأخلاق، وهو ينقسم إلى أربعة أقسام رئيسة:

أولا: أدب المرحلة الأولى

*كلية الآداب اللغات والفنون، جامعة وهران، الجزائر

وهو عبارة عن طائفة من حكم وأمثال من شعر ونثر وأقوال مأثورة عن الصحابة رضوان الله عليهم، وأحاديث نبوية شريفة، وآيات من القرآن الحكيم، جمعها الشيخ في مخطوطه الموسوم ب: " الجامع لعلوم اللغة والفقه والشريعة " مأخوذة من أمهات كتب التراث،

ثانيا: آداب المرحلة الثانية،

وهو عبارة عن نصوص نثرية جمعها من مختلف المصادر القديمة اتخذها كشواهد وأمثلة يستدل بها على جملة من المواضيع التي لها علاقة بالحياة الاجتماعية من آداب وأخلاق ومعاملة، وشريعة وفقه إلى غير ذلك من النصوص التي يستعين بها الشيخ في إلقاء هذا الدرس أو ذاك، ومدى تأثير هذه الدروس في نفسية التلميذ والطالب، وكذا من الضروري تعلم التلاميذ والطلاب وهم في المراحل الأولى، التواضع وتجنبهم الرياء والإعجاب والغرور في طلب العلم، كما يستطرد المؤلف في وصف طريقة إحياء العقل، ودور المحبة في إبلاغ المرء مبلغ الفضل في كل شيء من أمور الدنيا والآخرة، وغيرها من القضايا الأخرى التي احتوتها سطور هذا الجزء من المخطوط.

أما القسم الثالث من المخطوط فهو عبارة عن دراسات وقد أطلق عليها اسم الأبواب: منها:

1) كتاب الفقه

وهو عبارة عن تعريفات مختصرة وعامة لعلم الفقه، ثم ينتقل بنا المؤلف إلى الحديث عن مجموعة من أبواب الفقه المعروفة :

منها : باب الطهارة، وباب الزكاة، وباب الصيام، فباب الحج. جاءت كلها في شكل منظومة هي في الواقع تشكل جزءا من متن ابن عاشر في الفقه⁽²⁾.

أما القسم الرابع والأخير من المخطوط، وقد سماه ب:

الدرس النحوي واللغوي،

ويمثل هذا القسم أكبر جزء في المخطوط، وهو عبارة عن دروس في قواعد اللغة العربية. افتتحها المؤلف بالتعريف بعلم النحو وفوائده، ثم انتقل إلى الحديث عن أقسام الكلام، واسترسل في الحديث عن أنواع الإعراب وعلامات كل نوع على حدة، مدعماً أحاديثه بضرب جملة من الأمثلة من الشعر والنثر، وخاصة الشواهد التي يركز عليها النحاة - والمعروفة عندهم بالشواهد النحوية - ،

ثم أخذ يرتبها ترتيباً حسب مراحل الدرس والتحصيل، فكل وما يناسبه من الدرس، كباب جمع التكسير، وجمع المؤنث السالم، وباب الفعل المضارع المعتل بالألف، والمضارع المعتل بالواو، والمضارع المعتل بالياء، وباب الأفعال الخمسة، وباب الفاعل، وباب نائب الفاعل، وباب المبتدأ والخبر، وباب كان وأخواتها المسماة بالنواسخ، وباب التوابع، وباب العطف، وباب التوكيد، وباب البدل، وباب منصوبات الأسماء، وباب المفعولات، وباب الحال، وباب الاستثناء، وباب التمييز وغيرها من المواضع النحوية والصرفية.

ويعتمد طريقة سهلة مبسطة في التبليغ، تتمثل في الطريقة السردية بطرح السؤال ثم الإجابة عنه، مشفعا إجاباته بأمثلة تؤدي الغرض المطلوب.

مما جعلنا لا نكتفي بمصدر التخصص، في توثيق هذا النص أو ذاك، فكثيراً من الأحيان نستعين بكتب تراثية أخرى، ككتب الأمثال، ونذكر منها كتاب (أمثال العرب) للمفضل الضبي، وكتاب (جمهرة الأمثال) لأبي هلال العسكري، و(مجمع الأمثال) لأبي الفضل الميداني، و(الأمثال والحكم) لمحمد بن أبي بكر الرازي وغيرها؛

وأما ما تعلق بالدواوين فنذكر منها، ديوان أحمد شوقي، وديوان المتنبي، وديوان العباس بن مرداس، وديوان الإمام الشافعي، وديوان ابن دريد وغيرهم.

وأحيانا أخرى يتطلب الأمر منا أن نرجع إلى المصادر العربية للتحقق من بعض الاقتباسات التي اعتمدها المؤلف. ككتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني بمختلف أجزائه، وكتاب (المعارف) و(الشعر والشعراء) لابن قتيبة، و(نهج البلاغة) للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وكتاب (الكامل) في اللغة والأدب للمبرد.

هذا فضلا عن اعتمادنا -في عملية التحقيق- للقسم المتعلق بالفقهيات على المصدر الأول والوحيد الذي اعتمده المؤلف نفسه، وهو (متن ابن عاشر) المسمى بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين للعلامة عبد الواحد بن عاشر، وغيره من المؤلفات الفقهية القديمة ككتاب (الرسالة) لأبي زيد القيرواني⁽³⁾.

وقد استعنا في الشرح والتحليل على القيم والحديث، كتاب (علم الفقه) لعبد الوهاب خلاف، و(منهاج الصالحين) لعز الدين بليق، و(رياض الصالحين) للنووي و(فقه السنة) للسيد سابق وغيرها.

وأمل ما يتعلق بتصحيح الآيات والأحاديث، فمرجعنا في ذلك القرآن الكريم وكتب الأحاديث النبوية الشريفة كصحيحي مسلم والبخاري، وسنن الترميذي وغيرها من المصادر في تخريج بعض الأحاديث التي وردت في المخطوط.

التحقيق

القسم الأول من المخطوط⁽⁴⁾:

بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم صل علي الحبيب محمد.

أدب المرحلة الأولى:

1- النظافة من الإيمان⁽⁵⁾

ليس الجمال بأثواب تزينا إن الجمال جمال العلم والأدب
عاش من عرف قدره⁽⁶⁾

* من أدب ابنه صغيرا سر به كبيرا.

* انصر أخاك ظالما أو مظلوما⁽⁷⁾.

* الناس بأزمانهم أشبه منهم بآبائهم.

إذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي جنب كان في الله⁽⁸⁾

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم⁽⁹⁾ ذهبوا⁽¹⁰⁾.

لا خير في المرء إذا غدا لا طالب العلم ولا عالما

المرء⁽¹¹⁾ مخبوء تحت لسانه⁽¹²⁾

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم⁽¹³⁾

* اكتسب أدبا تكتسب نسبا.

* حلية النساء ما يلبسنه، وحلية الرجال ما يحسنونه.

* أطلب العلم ولا تكسل فما أبعد الخير على أهل الكسل.

* الدال على الخير له مثل أجر فاعله.

* تعلم فليس المرء يولد عالما عنده

وليس أخو العلم كمن هو جاهل⁽²⁴⁾

وإن كبير القوم لا علم عنده صغير إذا التفت عليه المحافل

* من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين⁽¹⁵⁾.

* من غشنا فليس منا⁽¹⁶⁾.

* من رضي عن نفسه ، كثر الساخط عليه⁽¹⁷⁾.

* ومن ضيعه الأقرب ، أبيع له الأبعد⁽¹⁸⁾

* الوحدة خير من قريب السوء⁽¹⁹⁾.

* إذا فاتك خير فأذكره وإذا أدركك شر فاسبقه.

في ازدياد العلم إرغام العدى وجمال العلم إصلاح العمل

جمل المنطق بالنمو فمن يحرم الإعراب بالمنطق اختبل⁽²⁰⁾

من لم تفده عبارا⁽²¹⁾ أيامه كان العمى أولى به من الهدى⁽²²⁾.

الكيس⁽²³⁾ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت⁽²⁴⁾.

قيمة الإنسان ما يحسنه أكثر الإنسان منه أو أقل

اكتنم الأمرين فقرا وغنى واكتسب الفلاس وحاسب من بطل

وادرع جدا وكدا واجتنب صحبة الحمقى وأرباب الخلل

يتبع

الهوامش

1- أنظر في ترجمته، تاريخ امهاجة بين المدلول اللغوي والرسوخ الجغرافي، للدكتور قدور ابراهيم عمار

المهاجي، ديوان المطبوعات الجامعية 1422 هـ 2002 م

2- هو كتاب مطبوع عدة طبعات مختلفة، والمسمى بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين. اعتمدنا الطبعة السابعة 1375 هـ لصاحب مطبعة المنار ومكتبتها بتونس. وهي الطبعة التي اعتنى بتصحيحها الأستاذ الشاذلي النيفر المدرس بجامع الزيتونة

3- اعتمدنا الطبعة السابعة الصادرة عن مطبوعات الجيش الشعبية بالجزائر سنة 1979، والتي تشتمل على النص العربي والنص الفرنسي المترجم من طرف ليون بارشي:

LA RISALA (ou Epitre sur les éléments du dogme et de la loi de l'islam selon le Rite Malikite) ABI ZAYD AL QUAYRAWANI .

Traduction française par LEON BERCHER. Septième édition .éditions populaires de l'armée-ALGER 1979.

- 4- يتألف هذا القسم من المخطوط في سبع صفحات مرقمة ترقيما تسلسليا تاما.
- 5- هو حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وروي بصيغ مختلفة في كتب الفقه. منها قوله صلى الله عليه وسلم [تخللوا فإنه نظافة، والنظافة تدعوا إلى الإيمان مع صاحبه في الجنة] رواه الطبراني انظر في ذلك : عز الدين بليق: منهاج الصالحين-دار الفتح للطباعة والنشر 2. بيروت 1982 ص 136.
- 6- هو قول الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. وقد روي بصيغة: [هلك امرؤ لم يعرف قدره]. انظر نهج البلاغة: شرح الأستاذ الإمام محمد عبده ج. ع ص 38.
- 7- هو حديث الرسول صلى الله عليه وسلم رواه البخاري في صحيحه. انظر صحيح البخاري ج 2 ص 732.

- 8- اللفظة ساقطة هنا تماما وهي قصر الشاعر "مصرع" أي مقتلي.
- 9- كتب خاطئة والصواب أخلاقهم بالألف الممدودة.
- 10- هذا البيت للشاعر أحمد شوقي . أنظر ديوان الشاعر ص 115.
- 11- الهمزة مكتوبة على الألف والصحيح أن تكتب على السطر هكذا: المرء.
- 12- هذا القول للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . ومعناه أن عقل المرء وفضله يظهر بما يصدر عن لسانه؛ فكأنه مخبئ تحت لسانه فإذا تحرك اللسان انكشف. انظر: نهج البلاغة /علي بن أبي طالب بشرح الأستاذ الإمام محمد عبده ج 4 ص 38. وقال-كرم الله وجهه- في نفس المعنى، وفي موضع آخر من نفس المصدر: [تكلموا تعرفوا فإن المرء مخبوء تحت لسانه] انظر نفس المصدر ج 4 ص 93.
- 13- البيت لأبي الطيب المتنبي. انظر : شرح ديوان المتنبي لعبد الرحمان البرقوقي-مصر 1930. ج 2 ص 383، والأمثال السائرة من شعر أبي الطيب المتنبي ترجمة الدكتور فيروز حريجي طهران - 1356 هـ ص 31، ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء لأبي القاسم حسين محمد الراغب الأصفهاني بيروت 1961 ج 1 ص 221.
- 14-هو قول الإمام الشافعي ، ورد في ديوانه بتحقيقه محمد عبد الرحمان عوض- دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ص 42. وهو مجتزئ من قوله:
- تعلم فليس المرء يولد عالما وليس أخو العلم كمن هو جاهل.
- وإن كبير القوم لا علم عنده صغير إذا التفت عليه الجحافل
- وإن صغير القوم إن كان عالما كبير إذا ردت إليه المحافل

- 15- هو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم والبخاري في صحيحيهما.
- 16- هو حديث الرسول صلى الله عليه وسلم رواه مسلم من حديث أبي هريرة .
- 17- هو قول مأثور لعلي بن أبي طالب ورد ذكره في "نهج البلاغة" ج 4 ص 4، وهو مجترئ من قوله كرم الله وجهه : "صدق العاقل صندوق سره، والبشاشة حباله المودة، والاحتمال فبر العيوب ، والمسالمة خباء العيوب، ومن رضي عن نفسه كثر الساخط عليه".
- 18- هو قول لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه انظر : نهج البلاغة ج 4 ص 5. أي كم من شخص أضاعه أقاربه فقدر له من الأبعاد من يحفظه ويساعده.
- 19- هناك في السنة ما يدل على هذا المعنى تقريبا وهو اجتناب جلست السوء، فمعنى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إنما مثل المجلس الصالح وجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يهديك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك ، وإما أن تجد منه ريحا منتنة". رواه البخاري ومسلم.
- ونافخ الكير هو الحداد الذي ينفخ النار على الحديد حتى يحمر فيستعمله. وحامل المسك هو الطيب الذي يتطيب به الناس، والمقصود به هنا هو بائع العطورات لأنه يقابل الحداد نافخ الكير. وقد شبه الرسول صلى الله عليه وسلم المجلس الصالح ببائع الطيب، الذي ينفخ بعطره، ويغمرك بنشره فإما أن يهديك وإما أن تجد عنده ريحا طيبة ، فأنت معه في ريح دائم ونشوة غامرة . أما جليس السوء فليس هناك أبلغ من تشبيهه بالحداد الذي ينفخ بكيره، فأنت معه في خسارة دائمة فإن لم يحرقك بناره، أحرقك بشراره فصحبته هم دائم، وحزن لازم.
- وفي نفس هذا المعنى أنشد الإمام الشافعي:
- إذا لم أجد خلا تقيا فوحدتي ألد وأشهى من غوي أعاشره.

- وأجلس وحدي للعبادة آمنا أقر لعيني من جليس أحاذره.
- انظر ديوان الإمام الشافعي ص 51.
- 20- اختبل: من الخبل، الخبل، الخبل، الخبال، أي الجنون، ويقال به خبال أي مس. وقال الليث: الخبل جنون أو يشبهه في القلب، والمختبل الذي اختبل عقله أي جن. أنظر : ابن منظور/لسان العرب -مادة خبل- ص 1097 ج 2.
- 21- وردت كلمة "عبارا" غير سليمة والصواب عبرا.
- 22- البيت للشاعر ابن دريد. انظر ديوان ابن دريد-بتحقيق عمر بن سالم- الدار التونسية للنشر 1973 ص 131.
- ومعنى البيت أن من لم يعتبر بالأيام وصروفها، وما يحدث من الحالات في الخلق، كان العمى أي الجهل أقرب إليه من الهدى. ونفس المعنى يؤكدده الشاعر في موضع آخر من ديوانه بقوله:
- من يم يتعظ بصروف الدهر لم ينفعه ما راح به الواعظ يوما أو غدا .
- أي من لم يتعظ بصروف الدهر وما يمر عليه من الحوادث لم ينفعه ما راح به الواعظ.
- 23- الكيس بمعنى الفطن والعاقل.
- 24- هو حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأصل الحديث قوله عليه الصلاة والسلام (الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَالْعَاجِزُ مَنْ اتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ). رواه الترميذي، وقال حديث حسن. انظر: سنن الترميذي/ ص 166. ج 1. دار الكتاب العربي القاهرة.